معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأربعون النووية

شرح الشيخ رياض عصنوني

حفظه الله

الدرس رقم (12)

التاريخ: السبت 1440/05/27 هـ

02/شباط/2019 م

الدرس الثاني عشر من شرح "الأربعين النووية"

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد؛

فهذا هو **الدرس الثاني عشر** من دروس شرح "**الأربعين النووية**" للحافظ أبي زكريا يحيي بن شرف النووي -رحمه الله-.

الحديث السادس والعشرون

قال رحمه الله-: **عَنْ أَبِي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاَةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ».** رواه البخاريُّ ومسلِمٌ.

السُلامى هو المفصل، كما جاء مبيَّنًا في حديث عائشة -رضي الله عنها- عند مسلمٍ، أن رسول الله -ﷺ- قال: «خَلَقَ اللهُ ابن آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ» الحديث.

ومعنى هذا الحديث: أن هذه المفاصل التي تربط بين عظام الجسم من أعظم نِعم الله تعالى علينا، وهذه النِعم تحتاج إلى شُكر، نِعمة المفاصل هذه تحتاج إلى شكر، فإذا تصدق الإنسان بعدد المفاصل من الصدقات، حصل له بذلك شُكر الله عليها، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾[الملك:23]

لكن لا يذهب ذهنك إلى أن الصدقات هذه لابد أن تكون من المال، وحتى لا يحصل لك هذا، بيّن لنا النبي -ﷺ- طرقها وأنواعها، في الحديث السابق، وفي هذا الحديث أيضًا.

وسبق في الحديث الذي مضى بيان أن الصدقات منها ما يكون نفعه متعديًّا كالإصلاح بين الناس، وإعانة الرجل على دابته، وإماطة الأذى عن الطريق، والكلمة الطيبة، وغيرها.

ومنها ما يكون نفعه قاصرًا على النفس، كالتسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والمشي إلى الصلاة،

وغيرها من أنواع يعني العبادات التي نفعها قاصرٌ على النفس.

قوله -ﷺ-: «تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ»، معناه أن تُصلح بين اثنين متخاصمين، وتُصلح بينهما بالعدل، لا بالهوى، ولا بأي نوع من أنواع الإصلاح الأخرى، وهذا الفعل من أفضل أنواع الصدقات، ومن أحب القربات إلى الله تعالى، كما قال عز وجلّ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء:114].

ثم قال النبي -ﷺ-: «وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ»، أي إعانة الرجل في مركوبه سواءً كان سيارةً، أو دراجةً نارية، أو دراجةً عادية، أو شخصًا يريد أن يركب الحافلة، أو غيرها من أنواع المركوبات، فتساعده في ركوبها، أو في إصلاحها إن كانت عاطلة، أو تُعينه في وضع متاعه عليها، كل هذا من الصدقات، وهو داخلٌ أيضًا في التعاون على البِر والتقوى، وهو كذلك من أسباب إعانة الله للعبد، كما جاء في الحديث: «واللهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

ثم قال: «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»، الكلمة الطيبة تشمل كل كلمةٍ تقربك إلى الله، كالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير، وهذا النوع من الكلام الطيب يكون بين العبد وربه.

والنوع الثاني من الكلام الطيب: أو من الكلمة الطيبة هو ما يكون بين الناس، ما يكون بين الناس كإفشاء السلام، وتشميت العاطس، والكلام الجيد الجميل، الطيب الذي يُطيّب خواطر الناس، ويشرح صدورهم، كله داخلٌ في معنى الكلمة الطيبة، فإن وجدت شخصًا مهمومًا، فكلمته بكلامٍ طيبٍ، وذكّرته بالله، وذكرته بأن هذه الدنيا فانية، وأزحت من قلبه شيئًا من الهم، فهذا من الكلام الطيب، إن أفشيت السلام، فهذا من الكلام الطيب، إن شمّتَّ عاطسًا، فهذا من الكلام الطيب.

يعني كل هذا يدخل في الكلام الطيب، فلا يستهين الإنسان بهذه الأمور التي هي صدقات، وليوطن نفسه على هذا، حتى إن كانت هذه الأمور ليست من طبعه، فعليه أن يتطبع بها؛ لأنها من حسن الخلق، ومن الكلام الطيب الذي يؤجر عليه الإنسان.

ثم قال -ﷺ-: «وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ»، كل خطوةٍ تخطوها وأنت ذاهبٌ إلى المسجد لأداء الصلاة لك بها صدقة، انظر إلى سعة فضل الله عز وجلّ، ورحمته بنا، يفرض علينا الصلاة في المسجد - صلاة الجماعة واجبة على الراجح من أقوال أهل العلم- ثم يجازينا على كل خطوةٍ نخطوها إلى تلك الصلاة بصدقة، انظر -بارك الله فيك إلى هذا الفضل العظيم الذي يجنيه الإنسان إن أخلص نيَّته عند ذهابه إلى المسجد.

عندك خمس صلوات تؤديها جماعة، إذا كان المسجد بعيد عنك قليلًا، فإن شاء الله عندك فضلٌ

عظيم، لكن ينبغي على الإنسان التنبه فقط للنية، أن ينوي عند خروجه من المنزل أنه ذاهبٌ إلى المسجد، أحيانًا الإنسان تكون له حاجيات يقضيها، تتزامن مع وقت ذهابه إلى الصلاة، فبدل أن يخرج من بيته ناويًا أنه ذاهب إلى الصلاة، يخرج لقضاء هذه الحاجات، فالإنسان يكون ذكيًا نوعًا ما، يجعل نيَّته وقصده المسجد لأداء الصلاة، وبعد المسجد يقضي حاجياته الأخرى حتى لا يضيّع هذا الفضل.

ثم قال النبي -ﷺ-: «وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»، أي تزيل الأذى عن المارة، وتُزيل الأذى من الطريق، وأيًا كان نوع هذا الأذى، سواءً كان حجارة، أو شوك، أو مسامير، أو قاذورات، إن أزلتها عن الطريق، فإنك تؤجر بذلك إن شاء الله، ويكون لك بها صدقة، كل هذه الأمور التي ذُكرت في الحديث تُشكر بها هذه النعمة، نعمة المفاصل التي أعطانا الله تبارك وتعالى إياها.

وقد جاء في طريق أبي ذرٍ -رضي الله عنه- لهذا الحديث قوله -ﷺ- في آخره: «وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى»، يعني يجزئ عن هذا كله أن يصلي الإنسان ركعتين في وقت الضحى، فإنهما تجزآن عن الثلاثمائة وستين صدقة اللازمة لشُكر هذه النعمة، نعمة المفاصل.

ووجه كون الركعتين مجزئتين عن الثلاثمائة وستين، بأن صلاة الركعتين يتم فيها استعمال جميع الأعضاء والمفاصل التي يتوجب علينا شكر الله عز وجلّ عليها، فكلها ستُستعمل في هذه الطاعة وهذه العبادة؛ لذلك كانت كافيةً في شكر هذه النعمة، بنحو هذا الكلام وجَّه الحافظ ابن رجب -رحمه الله-، كون الركعتين مجزئتين عن الأنواع الأخرى التي يحصل بها شُكر هذه النعمة.

الحديث السابع والعشرون

ثم قال النووي -رحمه الله-: وعن النَّوَّاسِ بنِ سمعانَ –رضي الله عنه-، عن النبي –ﷺ- قَالَ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثْمُ: مَا حاكَ فِي نَفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»، رواه مسلمٌ.

وعن وابصةَ بنِ مَعْبدٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «أَتَيْتُ رسولَ اللَّه ﷺ فَقَالَ: جِئْتَ تسأَلُ عنِ البِرِّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، واطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، والإِثْمُ: مَا حاكَ فِي النَّفْسِ، وتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوكَ».

قال النووي: (حديثٌ حسنٌ، رويناه في مسندي الإمام أحمد بن حنبل والدارمي بإسنادٍ حسن)، انتهى كلام النووي –رحمه الله-.

- حديث النواس صحيح لا غُبار عليه، أخرجه مسلم في صحيحه،
- أما حديث وابصة فضعيفٌ لا يصح، تكلم عن عِلله الحافظ بن رجب في شرح "الأربعين" بما لا

مزيد عليه، فليُراجع كلامه من شاء.

وذكر ابن رجب نفسه لهذا الحديث طريقًا آخر: عن أَبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ –رضي الله عنه-، ولفظها مقاربٌ لحديث وابصة، قال أَبو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ -رضي الله عنه-: «قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي مَا يَحِلُّ لِي وَمَا يَحْرُمُ عَلِيَّ، قَالَ: الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ»، فنعتمد حديث أبي ثعلبة إن شاء الله.

هذان الحديثان فيهما الكلام عن البِر والإثم؛ والبِر عرَّفه النبي -ﷺ-بتعريفين مختلفين، فقال في حديث النواس، قال: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ»، بينما في حديث وابصة، و قريبٌ منه في حديث أبي ثعلبة، قال: «الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ».

التعريفان مختلفان قليلًا؛ وذلك لأن البِر يُطلق باعتبارين:

- يعني باعتبار ما يكون بين العبد وربه.
- وباعتبار ما يكون بين الناس.

فالأول: ما يكون بين العبد وربه، يُراد به الإيمان، البِر يُراد به الإيمان، ومنه فعل جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، واجتناب جميع المحرمات الظاهرة والباطنة، كما جاء ذلك مبيّنًا في آية سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾[البقرة:177]

أما المعنى الثاني للبِر: فهو باعتبار معاملة الناس بالإحسان إليهم، لهذا وصفه النبي -ﷺ- بقوله: «حُسْنُ الخُلُقِ»، وهو من جوامع كلمه -ﷺ-؛ لأن هذه الكلمة كلمة "**حُسن الخلق**" يدخل فيها كل شيء، يدخل فيها طلاقة الوجه، يدخل فيها بذل الندى، يدخل فيها كف الأذى، يدخل فيها بِر الوالدين، يدخل فيها حُسن عشرة الزوج لزوجته وأهله، وغيرها من الأمور التي تدخل في هذه الكلمة.

ثم بيّن النبي -ﷺ- ما يُقابل البِر، الذي يقابل البِر هو الإثم، وجاء في الأحاديث أنه: «مَا حاكَ فِي النَّفْسِ» وأن المرء يكره أن يطَّلع عليه الناس.

وهذا الكلام ينبغي فهمه جيدًا، وتنزيله على مُراد صاحب الشريعة، لا كما يفهمه البعض، بعض الناس فهم من هذا أنه يستفتي قلبه في كل مسألةٍ تأتيه، وهو مع هذا جاهلٌ بالشرع لا عِلم له، ليس عنده علمٌ يحكم به، وهذا مشاهد كثيرًا في الجُهَّال فهم يتبجحون بأنهم يفعلون كيت وكيت من الأمور، ونحن نعلم أنها محرمة، لكنهم لجهلهم ظنوها جائزة، وعندما تنبههم إلى أن هذه الأمور لا تجوز، يُجيبك بأنه

يقولك: أنا الحمد لله، نفسي مطمئنة لهذا الفعل، ولا حرج في نفسي من فعله، مستدلًا بهذا الحديث على جواز هذا الفعل، وهذا خطأٌ كبير وفهمٌ للحديث على غير مراد صاحب الشريعة، الحديث ينبغي فهمه، كما فهمه صحابة رسول الله -ﷺ-، وكما فهمه سلفنا الصالح -رضوان الله تعالى عليهم- ولا نُعمل فيه عقولنا؛ لأن عقولنا قد لا تفهم الفهم الصحيح، أما أولئك فقد عاصروا التنزيل، وكانوا مع النبي -ﷺ-، فهم أصح الناس فهمًا لحديث رسول الله -ﷺ-.

ونحن نأخذ عن العلماء الذين ينقلون لنا كلامهم، فالعلماء في كلامهم عن هذا الحديث يفصِّلون القول، ويقولون: بأن المرء قد يحيك في صدره، وتتردد نفسه من فعل شيءٍ جاء النص به، عندك نص جاء في مسألة معينة، ومع هذا قد يحيك هذا الأمر في صدرك، وتتردد نفسك، فتجد حرجًا من فعل هذا الشيء، مع أنه كما قلنا: الدليل واضح وبيّن في وجوب فعله، أو في استحبابه، فيستدل بهذا الحديث عدم مشروعية فعل هذا الشيء، وأن هذا من الإثم، وهذا غلط عظيم لا يجوز، ولا يصح، وهذا فهمٌ فاسد، يعني بعض الناس يستدل سواءً يعني إذا أراد أن يُعفي لحيته، أو إذا أراد مثلًا أن يُقصر ثوبه، يعني وجد في نفسه حرج، وهذا الحرج نصفه من الشيطان، والباقي من الناس، من شياطين الإنس ربما الذين يعني يأتون ويوسوسون له، ويصدونه عن هذا الطريق، فيجد أن نفسه منقبضة، وأنه غير مرتاحٍ لهذا، فيأتيك بهذا الحديث، ويقول لك يا أخي: «**الإِثْمُ: مَا حاكَ فِي النَّفْسِ**»، فنقول له: أن هذا من الغلط العظيم، وهذا هو الإثم نفسه، لا فعل هذا الشيء، الواجب إذا جاء الدليل لوجوب فعل أمرٍ ما، أو باستحباب فعله، فالإنسان يفعل، وما يجده في صدره سيُذهبه الله تبارك وتعالى، يدعو الله تبارك وتعالى أن يُذهب ما في صدره، وما في قلبه، ويتوكل على الله، ويُطيع الله تبارك وتعالى.

الحال الثانية: التي يذكرها العلماء عند كلامهم لهذا، عن هذا الحديث: وهو أن يكون عند الإنسان مسألة، ويستفتي فيها أكثر من مفتي، هذا عند الأول فيخبره بالجواب، ثم يذهب عند الثاني يخبره بالجواب، فيحصل في قلبه نوع حرجٍ، وتتردد نفسه، بأي الأقوال تأخذ؟ بأي الأقوال تعمل؟ **وفي هذه الحالة**: الواجب عليه، كونه مقلد وكونه لا علم عنده ويميّز به بين الأقوال وبين الفتاوى، الواجب عليه أن يتبع الأعلم والأفقه، الذي أثنى عليه العلماء وقالوا بأنه عالم كبير، وبأنه فقيه، وأنه أعلم من الثاني، فهذا خذ بقوله ولا تتردد.

هذا إن كان عن عالمين من علماء السُنة، أما إن كان يعني أحد العالمين: عالم سنةٍ، وصاحب سنةٍ، ويفتي بالحق، ويفتي بالدليل، والآخر صاحب بدعة أو صاحب هوى، فلا شك أن هذا الثاني لا يؤخذ بكلامه، ولا يلتفت إلى قوله.

الإشكال في الناس الآن: أنهم يلقون أسماعهم لأصحاب البدع، تجد التلفاز والإنترنت مليئان بأهل

البدع والأهواء، الذين يريدون جلب الناس بدعوى التسهيل عليهم، افعل هذا الشيء ولا حرج عليك، ويقابلون النصوص بآرائهم وأهوائهم. فتجد خلقا كثيرا من الناس يتعلقون بهم ويتبعونهم؛ فإذا بلغه كلام عالم معتبر، صاحب سنة، تضاربت عنده الأقوال، وتجده مرتابًا لا يدري بأيّها يعمل، فنقول له يا أخي: لا ترتاب، واتبع أهل السُنة، واتبع أهل الحق، ومن يفتيك بالدليل، ومن تعلم أنه صاحب سُنة، وأما من حذّر منه العلماء، أو كان مجهولًا لا تعلم حاله، فهذا لا تلفت إلى كلامه.

الحال الثالث: هي أن المرء قد يستفتي عالمًا في مسألةٍ ما، لكنه لم يُحسن صياغة السؤال، ولم يُعط العالم صورة المسألة، كما ينبغي أن تُعطى، فيفتيه على حسب سؤاله، وبعدها يحصل الارتباك والتردد عند هذا الإنسان، فيقول: أنا لم أخبره عن الشيء الفلاني، ولم أُبيّن له هذا الشيء، وغيرها من الأمور التي تحدث في النفس.

فنقول له: إن حصل هذا، فالواجب عليك أن ترجع عند هذا العالم، وتعطيه الصورة الحقيقة، أو الصورة الصحيحة لمسألتك، ليعيد الإجابة عليها، ويعطيك الحكم الشرعي الصحيح لهذه المسألة.

الصورة الأخيرة التي ممكن أن تكون عندنا: وهذه الحالة قد مرت معنا في حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه-، وهي في المشتبهات، التي لا يدري الإنسان حُكمها، يعني هل هي حلال أم هي حرام؟

فهذا يُحدث عنده ترددًا وضيقًا في صدره، أيفعل هذا الشيء، أم لا يفعله؟ أيجوز فعله، لا يجوز فعله؟ فهذا نقول له: لا تعمل إلا على بيّنة، إن كنت تجهل الحكم الشرعي وحصل عندك تردد فلا تفعل شيئًا إلا ببينة، اصبر، اسأل أهل العلم، اتصل بهم، بيّن لهم مسألتك، عندما يفتونك اعمل بقولهم.

هذا ما يتعلق بهذا الحديث، أو بهذين الحديثين، أرجو أن تكون الصور واضحة عندكم، ومفهومة.

الحديث الثامن والعشرون

ثم قال النووي -رحمه الله-: **عَنْ أَبِي نَجِيحٍ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْها القُلوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ، فَقُلْنا: يا رسولَ اللهِ، كَأَنَّها مَوْعِظَةُ مُودِّعٍ فَأَوْصِنا. قالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ». رواهُ أبو داوُدَ والتِّرمِذِيُّ، وقالَ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.**

حديث العرباض -رضي الله عنه- هذا: حديثٌ عظيم، وهو أحد الأدلة على أصلٍ من أصول أهل

السُنة والجماعة، ألا هو السمع والطاعة في المعروف لولي الأمر المسلم، وعدم جواز الخروج عليه.

قال العرباض –رضي الله عنه-: (وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً، بليغةً)، **الوعظ هو التذكير المقرون بالترهيب والترغيب**، وقد كان رسول الله –ﷺ- يتخول أصحابه بالموعظة، ولا يكثر عليهم مخافة السآمة، فالوعظ مطلوب، لكن يجب أن يكون مَبينًا على الأدلة.

المشكلة في الوعاظ: أن أكثرهم قُصاص، يعتمدون على القصص الواهية، والأخبار المكذوبة، والروايات المصطنعة لوعظ الناس، وهذا ما جعل السلف يذمونهم، وجعل العلماء يحذرون منها، لكن إن كان الوعظ على طريقة النبي –ﷺ-، والصحابة، والسلف الصالح فهو ممدوح، ومطلوبٌ أيضًا.

قال العرباض –رضي الله عنه-: (وَعَظَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْها القُلوبُ)، وَجلت بمعنى خافت، (وَذَرَفَتْ مِنْها العُيُونُ)؛ أي بكت. في هذا بيان أن الصحابة كانوا أصحاب قلوب رقيقة، يتأثرون بالوعظ والتذكير، خلافًا لما عليه أكثر أهل زماننا، قَل من يتذكر، وقَل من يوجل عند التذكير، وربما يقابلك بقوله: أعرف كل هذه الأمور، وأنت لم تأت بجديد، لكن حاله لا تتغير، بل هي سيئة أو من السيئ إلى الأسوأ، والله المستعان.

كثير من الناس إذا وعظته، وإذا بينت له خطورة الربا، وخطورة بعض الكبائر، وخطورة الشرك بالله عز وجل، يعني يقابلك بقوله: اعلم هذا، وأنت لم تأتي بجديد، لكن ماذا تريد أن تفعل؟ يعني الوضع والحال، والدنيا كلها مبنية على هذه الأمور الآن، فكيف تريدني أن أترك هذا؟ إلى غيرها من الأعذار القبيحة، وتجد قلبه لا يحصل فيه خوفٌ من الله عز وجل، وخوفٌ من عقاب الله عز وجل، والله المستعان.

قال العرباض –رضي الله عنه-: (فَقُلْنا: كَأنَّها مَوْعِظَةُ مُودّعٍ)؛ يعني لما أَبلغ النبي –ﷺ- في الوعظ على غير العادة، فهموا أنها الموعظة مودعٍ؛ لأن المودع يتكلم ويتطرق إلى مواضيع لا يتطرق إليها عادةً، يعني إذا كان باقيًا في قومه، ففهموا أن النبي –ﷺ- وعظهم موعظة مودعٍ، فطلبوا منه الوصية، أن يوصيهم بجملةٍ من الأمور، يوصيهم ما يراه مهمًا بالنسبة إليهم، وبما يرى أنه من الواجب عليهم أن يتمسكوا به بعده –ﷺ-، فأوصاهم النبي –ﷺ- بأمورٍ:

أولها: تقوى الله عز وجل، والتقوى مرت معنا، وتكلمنا عنها، ولا بأس أن ذِكر تعريف طلق بن حبيب –رحمه الله-.

قال طلق في تعريف التقوى: وتعريف التقوى الذي ذكره طلقٌ أثنى عليه السلف، وأشادوا به، قال رحمه الله: ((**التقوى أن تَعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عذاب الله**)).

قال الحافظ الذهبي مُعلقًا على كلام طلقٍ هذا: ((أَبْدَعَ وَأَوْجَزَ، فَلاَ تَقْوَى إِلاَّ بِعَمَلٍ، وَلاَ عَمَلَ إِلاَّ بِتَرَوٍّ مِنَ العِلْمِ وَالاِتِّبَاعِ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالإِخْلاَصِ للهِ، لاَ لِيُقَالَ فُلاَنٌ تَارِكٌ لِلْمَعَاصِي بِنُورِ الفِقْهِ، إِذِ المَعَاصِي يَفْتَقِرُ اجْتِنَابُهَا إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَيَكُونُ التَّرْكُ خَوْفًا مِنَ اللهِ، لاَ لِيُمْدَحَ بِتَرْكِهَا، فَمَنْ دَاوَمَ عَلَى هَذِهِ الوَصِيَّةِ فَقَدْ فَازَ))، انتهى كلام الحافظ –رحمه الله-، وهو كلامٌ ذكره في السَّير.

هذا تعريفٌ ابن المنذر في التقوى، وهو كما قال الذهبي –رحمه الله-: أبدع وأوجز طلقٌ في تعريفها، "أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نورٍ من الله تخاف عذاب الله".

يعني تعمل بالطاعة، والطاعة حتى تعرفها لابد أن يكون لك علم، وهذا معنى قوله: "على نورٍ من الله"، وتحتاج لهذا إلى نية، وإلى إخلاص، وهي ما عناه بقوله: ترجوا ثواب الله أو تخاف عذاب الله.

الوصية الثانية من الوصايا: هي السمع والطاعة في المعروف لولاة أمر المسلمين: طاعة ولاة الأمر واجبةٌ في المعروف، وبها قِوام مصالح العباد، وبدونها تصبح الأمور فوضى، كما نراه في بعض البلاد الإسلامية.

أما إن أمروا بالمعصية، إن أمرك ولي الأمر بالمعصية، فلا سمع له ولا طاعة في تلك المعصية التي أمر بها، كما جاء في الحديث: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»، ومع هذا لا نخرج عليهم، ولا ننازع الأمر أهله.

قد جاء في الحديث: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ»، وجاء عن البخاري من حديث أنسٍ –رضي الله عنه-: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم واجبٌ في المعروف، حتى لو كان ولي الأمر هذا عبد حبشي، فطاعته واجبة ما لم يأمرنا بمعصية، فإن أمرنا بمعصية فلا سمع له ولا طاعة في تلك المعصية.

وحتى لو تأمّر علينا، كما جاء في الحديث، حتى لو تأمّر علينا، يعني أخذ السُلطة بالقوة والقهر، واستتب له الأمر فطاعته تجب حينئذٍ؛ لأن في الخروج عليه، ساعتئذ مفسدةٌ عظيمة، وهي عدم احتقان دماء المسلمين، إن أستتب له الأمر يجب أن يُطاع عملًا بهذا الحديث.

ثم قال النبي –ﷺ-: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بعدي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ».

هذا إخبارٌ منه –ﷺ- بما سيقع بعدهُ من اختلافٍ وفِتن، وقد حصل ما أخبر به –ﷺ-، لكنه –ﷺ- من شدة نصحهِ للناس، أخبرنا بما سيحصل وبالعلاج، أخبرنا بما سيحصل، وبما يجب علينا أن نفعله إن أدركنا ذلك.

فقال: «فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»، ووصفهم بأنهم راشدون ومهديون من بعدي،

«وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، إذا أردنا النجاة من الاختلاف ومن الفتن، الذي حصل ويحصل وسيحصل، فعلينا بالتمسك بسُنة النبي –ﷺ-، وسُنة الخلفاء الراشدين.

سُنته معناها: طريقته التي كان عليها –ﷺ-، وذلك يشمل جميع الأمور، سواءً كانت اعتقادات، أو كانت أقوال، أو أعمال للنبي –ﷺ-، كذلك الخلفاء.

وقد جاء في أحاديث أخر: الوصية بالتمسك بالكتاب والسُنة، كما جاء في قوله –ﷺ-: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي».

وكذلك جاء في حديث الافتراق، حيث أخبر النبي –ﷺ- أن الفرقة الناجية هي التي، كما قال النبي –ﷺ-: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»، لما ذكر: «أن هَذِهِ الْأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ فرقة كُلُّهَا فِى النَّارِ إلا وَاحِدَةً، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، وفي لفظٍ قال: «الْجَمَاعَةُ».

فالذي يريد النجاة من الفِتن، والتي يريد النجاة يوم القيامة، فعليه أن يتمسك بما كان عليه النبي –ﷺ- وأصحابه، ومن اتبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وأوصانا أيضًا باتباع «وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ»، وهم الخلفاء الأربعة المعروفون: "أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي –رضي الله عنهم وأرضاهم-" ووصفهم بأنهم راشدون؛ لأنهم قاموا بالرُشد، والرشد هو العلم بالحق والعمل به، ووصفهم أيضًا بأنهم مهديون وذلك؛ لأن الله تبارك وتعالى هداهم للحق، وإلى العمل به.

والنبي –ﷺ- **لم يقل**: عليكم بسُنتي فقط، بل زاد وأكد ذلك فقال: «وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»، عضوا على سُنتي وعلى سُنة الخفاء الراشدين بالنواجذ، والنواجذ هي الأضراس، والإنسان إذا أراد أن يُحكم عض شيءٍ ما، فإنه يعضه بأضراسه؛ لأنها أقوى الأسنان.

فكذلك ينبغي علينا أن نتمسك بالسُنة، وبأن نعض عليها، كما قال: بنواجذنا، خاصةً في زمن الفتن، في زمن اختلاف الناس، النجاة هي إتباع سلفنا الصالح، النبي –ﷺ- والقرون الثلاثة المفضلة، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومنا هذا.

والآن نسمع بعض الدعوات، وبعض أهل البدع يعني يريدون تزييد الناس في هذا، يريدون أن يفهموا هذا الدين كما يحبون، يريدون إدخال البدع، يريدون إدخال المحدثات في دين الله تبارك وتعالى، يريدون تمييع هذا الدين، فيقول لك: هم رجالٌ ونحن رجال، يعني الصحابة رجال، وأئمة الإسلام رجال، ونحن رجال، كما هم لهم عقول، نحن أيضًا لنا عقول، فلِمَ نقدم كلامهم وفهمهم على كلامنا وفهمنا.

انظروا إلى هذا التلبيس، وإلى هذه المخالفة الصريحة لهذه النصوص، فالإنسان العاقل يدرك أن

الصحابة –رضوان الله عليهم- عاصروا التنزيل، كان يعني الوحي ينزل وهم متوافرون، وهم مع النبي –ﷺ-، كان الوحي يأتي وينزل على النبي –ﷺ-، وكان تقع منه أمور فينزل الوحي بتصحيحها، وكان النبي–ﷺ- يصحح لهم بعض الأفهام: أتدرون من المفلس؟ كذا، يعني كان النبي –ﷺ- يصحح لهم بعض الأمور، وكان يُبين لهم الأمور.

فهم أعلم الناس، وأفهم الناس لسُنة النبي –ﷺ-، فكيف يترك الواحد منا فهم هؤلاء، ويأخذ بفهمه الذي ربما لو فتشت عنه، تجده لا يفهم حتى العربية فهما سليمًا، فكيف به بأن يفهم كلام الله، أو كلام النبي –ﷺ-.

ثم حذرنا النبي –ﷺ- من المحدثات، فقال: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»، البدعة مرت معنا في حديث عائشة، وهي كل ما أُحدث في الدين مما لا أصل له يدل عليه.

أن تتعبد إلى الله بقولٍ، أو فعلٍ، أو اعتقادٍ، ليس لك عليه دليل، شيء مُحدث، هذا معنى البدعة، ووصف النبي –ﷺ- كل البدع بأنها ضلالة، قال: «وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ»، لم يستثني شيئًا النبي –ﷺ-.

تجد بعض الناس الآن يستحسنون بعض الأمور بدعوى أنه ما فيها شيء، أنا أسبح فقط، أو أنا ادعوا الله فقط، لكن حقيقة فعله هذا أنه بدعة، البدعة قسمان، كما تعلمون -حفظكم الله-:

1. بدعٌ حقيقية.
2. بدعٌ إضافية.

البدع الحقيقة: هي الفعل الذي يتعبد به المرء، ولا دليل عليه أصلًا، كما يفعل الصوفية الآن يتعبدون إلى الله بالغناء والرقص، تجدون يتعبدون الله بهذه الأمور، وهذه بدعة حقيقية، وتوجد أيضًا أنواع أخرى للبدع الحقيقية.

البدع الإضافية: قد يكون عليها دليلٌ عام فقط، لكن تخصيص هذا الفعل، بعض الناس يخصصون بعض الأفعال بزمنٍ، أو يخصصونهم بأماكن، أو يخصصونهم بهيئات إلى غير ذلك مما سيأتي بيانه لاحقًا إن شاء الله، فهذا التخصيص لمثل هذه الأفعال[1] بهيئاتٍ، أو بأماكن، أو بأزمنة، هذا أيضًا من البدع، لماذا؟ لأنك لو فتشت عليه لوجدت النبي –ﷺ- لم يفعله.

مثاله: بعض الناس بعد تجشئه، بعد أن يتجشأ يحمد الله،

نأتي ونقول له يا أخي هذا الفعل لم يفعله النبي –ﷺ- ولا فعله الصحابة،

النبي –ﷺ- كان يتجشأ ولم يكن يحمد الله، بينما كان يعطس ويحمد الله،

فسيقول لك: أنا أحمد الله، لا أقول شيئًا سيئًا، أنا أحمد الله فقط !

[1] جاء في الصوتية بدع وهو سبق لسان والصواب الأفعال

نقول له: تخصيصك لحمد بعد هذا الفعل يحتاج إلى دليل، لماذا؟

لأن النبي –ﷺ- هو من نقل لنا هذا لدين، هو الذي يُبين ما يفعل وما لا يفعل، ولم يحمد الله بعد التجشؤ، مع أنه كان بإمكانه هذا،

فنقول له: فِعلك هذا من البدع الإضافية،

كذلك كثير من الأمور التي قد يفعلها الإنسان، سنترك الكلام عنها إلى وقتها إن شاء الله.

نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما نقول، وأن يوفقنا للعلم النافع، وللعمل الصالح، وأن يجنبنا الفتن، ويجنبنا مُحدثات الأمور، وأن يوفقنا لاتباع سُنة النبي –ﷺ- بفهم سلفنا الصالح –رضوان الله عليهم-، والله أعلم،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت،

أستغفرك وأتوب إليك.